الجهاد في سبيل الله

أو

واجب المسلمين

أو

السياسة الشرعية للهيئة الاجتماعية

من كتاب الشيخ العلامة الفاضل

عبد الرحمن الناصر السعدي

المتوفي سنة ١٣٧٦ رحمه الله

الطبعة الرابعة
١٤١٢هـ

صدر الإذن بطبع هذا الكتاب من
المديرية العامة للمطبوعات بوزارة الإعلام - القصيم
برقم ٢٧٥ / م / ق وتاريخ ١٤١٢/٩/٣ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم بقلم : علي الحمد الصالحي

في كـل يوم من تاريخنا تبرز مآثر أسلافنا الأفاضل الذين كرسوا جهودهـم ومقدراتهـم على النصـــح لله ولعباده . والذين سمـت نفوسهم الى معـالي الاخـلاق فأصبحـــت آثارهـم كالنجـوم فـي الهــدايه والاشـراق وهكذا ينبغي أن تكون همم الرجال واللــــه يختـــص برحمتـــه مـــــن يشـــاء .

نزف اليك أيها القاري ءالكـــريم هذه الرسالـــه التي تعتبر فـــي الحقيقـــة (سياسة شرعية) لسلوك الامة والفرد في الجهاد والمشورة وفوائدها . ورسم الخطة في الاستعداد الداخلي والخارجي . وفيها بيان واجب اهـــل العلم . وأوضحت وسائل التعاون والعدالة والعهـــود واسبـاب النصـــر والعزة وكشـــفت اسباب أمراض المسلمين المعنوية وخاصةالشبا ب وبينت اسباب صلاحهـــم وحثـــت على توليـــة الاكفاء ، وذكرت صفات القواد وغير ذلك من بيان محـاسن الاسلام بالدعوة اليـه ، وبينت أن الدعوة إلى الدين أعظم سلاح واكبر جيش وشرحت فـــوائد

الدعوة : فهي بحق واضحة المعاني ، قوية المباني مشع
وضاء ينير الطريق ، ومجهر كاشف مافيه أكثر المسلم
من جهل مركب عميق ، فمن ترسم مادعت اليه فقد حالف
التوفيق ، . ومن تنكبه وسار في ركاب الهواء ، واستجاب
لدعاة السؤ والحاقدين وأذناب المستعمرين فقد ترك جا
الصواب ، ومآله المحتوم إلى المكان السحيق . هذه الرسا
من كتابات الشيخ العلامة (عبدالرحمن الناصرابن سعدي
وجدها ابناؤه ضمن أوراقه بخطه وهي غير مؤرخة .
كان رحمة الله عليه كثير الكتابة يكتب كل مايدور بخاط
على ضوء الكتاب والسنة فتحول دون ابراز ماكتبه ظرو
قاهرة . ذلك لانه كان مثال العفة والورع في زمانه .
وليس بنا حاجة إلى تعداد فضائله فهو معروف لدى الجمي
بما قدمه في حياته وبما خلفه بعد وفاته .وها نحن الآ
ننشر هذه الرسالة النادرة الوجود في مغزاها وحاجة النا
اليوم الى العمل بها كحاجة الأرض العطشى الى الماء ، فه
جديرة بأن تكتب بماء الذهب . ولو كانت فكرة القومي
العربية موجودة في وقته لقلنا انه يرد عليها من طرف خف
أما وقد كانت هذه الفكرة الكاذبة الخاطئه قد جاءت بع
وفاته . وارغى دعاتها وأزبدوا وملأوا الجو صياحا وعويلا
ثم لم يلبثوا أمام عواصف الحق الا قليلا فكانت نهايتهم

الانهزام امام الحجج القواطع . وبالتالي عرف الناس مضرت
بذاتها ، وعرفوا أيضا أهداف دعاتها . وصدق اللـــه العظي
ان البـــاطل كان زهوقا) أيها القاريء بين يديك ه
الرسالة النيرة التي تدعو الى الوحدة الاسلامية بين حكوما
المسلمين وافـرادهم وتخطط لهم المخططات التي توصلهم ال
ساحل النجاة ، والسعادة ، على ضوء قول الله تعالى
واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا)(**ولاتكون**
كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات
(**ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**) (**ياأي**
الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذادعاكم
يحييكم) .

ولئن كانت هذه الرسالة مسودة غير منقحة . فهي نجم الهداي
لطلاب الحق ، وحسن النهايه في أمر الدين والدنيا .

ولا يسعنا الا ان نبرزها على ماهي عليه ، لأن العلم أمانه
والله المسئول ان يجزي كاتبها عن الامة الاسلامية خير الجزاء ب
أبداه من النصح ، وان يوفقنا جميعا لقبول نصحه جماعا
وافرادا .وان ينصر الأمه الاسلامية وأن يقيض لها الزعما
الناصحين لدينهم وأمتهم ، وان ينصر من في نصره نصر
الاسلام والمسلمين ويخذل من في خذلانه صلاح الاسلا
والمسلمين ، انه سميع الدعاء . وصلى الله على هادينا ونبين
سيد الاولين والاخرين محمد وعلى آله وصحبه اجمعين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

الجهاد في سبيل الله

او واجب المسلمين ، وما فرضه الله عليهم في كتابه نحو دينهم ، وهيئتهم ، الاجتماعية

قد أوجب الله على المؤمنين الجهاد في سبيله والاعتصام بدينه الذي هو حبله ، والدعوة الى ذلك ، والألفة ، والاجتماع والتعاون على الخير والبر والتقوى والاستعانة بالله في جميع أمورهم ، وقوة التوكل عليه والقيام بالمستطاع المقدور عليه من الدين والتقوى ، وتعلم ما يحتاجون اليه في أمور دينهم ودنياهم من العلوم والفنون النافعة التي يحصل بها قيام الدين والأمة ، والتمرن على القوة المعنوية والشجاعة الايمانية ، والاسباب المقوية للايمان كلها ، وبالدعوة إلى سبيله بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، ومجادلة المبطلين والضالين بالتي هي أحسن ، والجهاد في الله حق جهاده .

فهذه الأوامر الآلهية في القران في مراضع كثيرة ، وكلها داخلة في الجهاد في سبيله ، لأن معنى الجهاد في سبيل الله بذل المجهود في تقوية المسلمين ، تقوية معنوية ، وتقوية مادية ، وبذل المجهود في مقاومة الاعداء . وفي سلوك كل طريق .

يحصل به دفع شرهم والنكاية بهم ، فعلى هذا يكون مجموع اصول الجهاد نوعان .

أحدهما السعي الحثيث في تقوية المسلمين والسعي في ازالة الضغائن والعداوة الواقعة بين أفرادهم وجماعاتهم وحكوماتهم بالدعايات والمواعظ المناسبة للحال .

(١) وأن يكون صوت المسلمين واحداً يتكلم ويدعو اليه العلماء والكبراء وجميع طبقات الناس كلهم يتفقون لهذه الدعوة بحسب امكانهم .

ومما يسهل عليهم هذا الأمر مع صعوبته في باديء الامر ، أن يعلموا ان هذا السعي والدعوة الى جمع المسلمين والى اصلاح ذات بينهم هو أفضل الأعمال ، وانه افضل من استغراق الزمان بالصوم والصلاة وانه من اعظم واجل الجهاد في سبيل الله ، فان أصل الجهاد الذي لايستقيم الا به اتفاق الكلمة وارتباط المسلمين بالأخوة الدينية ارتباطاً وثيقاً قال تعالى (انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم) وبه يحصل اسباب النصر قال تعالى (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو انفقت مافي الارض جميعاً ماألفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم).

(١) لم يصرح بالثاني ولعله يبدأ قوله (وأن)

تبين انه يجب على المؤمنين الارتباط بالاخوة الدينية،وان تحقيق هذا الأمر من مقتضيات الايمان وشروطه ،وانه كلما قوي ايمان العبد عرف مقدار نفع هذا الأمر وعمل واجتهد عليه ، وان الله نصر نبيه بامرين : امر سماوي وهو نصره الذي ينزله على المتقين القائمين بدينهم .وامر معنوي وهو اجتماع كلمة المسلمين وتآلف قلوبهم وحصول التحاب الذي يوجب لكل منهم ان يرى مصلحته ومصلحة اخوانه واحدة والغاية واحدة . فالواجب على جميع طبقات الأمة لاسيما الرؤساء ، رؤساء الدين ورؤساء الدنيا ، ان يجاهدوا انفسهم واخوانهم المسلمين لتحقيق الاخوة الايمانية ، واذا سلكت طرقه وابوابه التى تسهله ، وشعر كل واحد بما يجب عليه لربه ودينه ولأخوانه واستعانوا بالله ولم يخلدوا الى الكسل والخور واليأس افلحوا .

فان هذين الامرين اعظم الموانع لحصول المصالح ودفع المضار فان الكسل والخور ينافي الرغبة في الدين ، وينافي الجهاد الحقيقي . واما اليأس من حصول المصالح ومن دفع المضار فانه الهلاك بعينه . . . وهل أخر المسلمين عن الأمم إلا تفرقهم وكسلهم وجبنهم وخورهم ويأسهم من القيام بشئونهم حتى صاروا بذلك عالة على غيرهم . ودينهم قد حذرهم عن هذه الأمور أشد التحذير .

وامرهم ان يكونوا في مقدمة الخلق في القوة ، والشجاعة ، والصبر ، والملازمة للسعي في كل امر نافع ، والعزم ، والحزم ، والرجاء وحسن الثقة بالله في تحقيق مطالبهم .

والدواعي لهم في ذلك متوفرة ، فان مجرد السعي في ذلك

بحسب الامكان من افضل الأعمال المقربة الى الله والقوة الايمانية والاخوة الدينة ووجوب النصيحة وارتقاب مواعيد المولى الصادقة التي لاتتخلف عن اسبابها ، حيث وعد المؤمنين القائمين بحقوق الايمان بالعون والنصر والتسديد والتأييد .

كل واحد من هذه الأمور يكفي وحده في حث المؤمنين على القيام التام بشئونهم ومصالحهم الكلية . فكيف وهي كلها حاصلة .

ثم ان الكسلان الذي ملكه الخور واليأس أي شيء يرتقب واي خير ينتظر . اليس الوهن والضعف والجبن اكبر سلاح للاعداء ، وهي الطريق الوحيد للذل والاهانة والسقوط الى أسفل سافلين من تسفل النفس وهبوط الاخلاق - فاين الأنفة النفسية وأين الحمية الدينية ،وأين الشهامة الانسانية ، فوالله ان موت هؤلاء خير من حياتهم حياة الذل وموت الاخلاق الطيبة . اليس هذا ميراثا تلقوه عن المنافقين الذين قال الله عنهم (واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الاغروراً) . أين هؤلاء ممن قال فيهم وفي نفوسهم الجميلة الجليلة (من المومنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) .

ولكل قوم وارث ، فقد ورثهم في الأرض رجال من المؤمنين من ملوكهم ، ورءسائهم وعلمائهم وأشرافهم وذوي النجدات منهم صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، حيث عاهدوا ربهم على التمسك بدينه والقيام به أتم القيام والجهاد في سبيله

فمنهم الباذل لنفسه ، ومنهم الباذل لماله .

ومنهم الحاث لاخوانه المسلمين على القيام بما يقدرون عليه .

ومنهم الساعي بينهم بالنصيحة والتأليف .

ومنهم المنشط للمؤمنين بقوله وماله وجاهه .

ومنهم الفذ الجامع لذلك كله .

فهؤلاء رجالات المؤمنين وخبار المسلمين الذين بهم قام الدين ، وبه قاموا ، وهم الرواسي في ايمانهم وجهادهم لايردهم عن مرادهم راد . ولا يصدهم عن المضي في سبيلهم صاد . لاتزعزعهم الحوادث ، ولا تفزعهم الكوارث ، تتوالى عليهم المصائب فيثبتون لها ثبوت الجبال ، وتنتابهم الاهوال المفضعة فيتلقونا بصدور منشرحة وانفس مطمئنة فعل الكمّل من الرجال .

فواها لهؤلا ء الابطال ماأعلى قدرهم ، ولله درهم ماأعظم ثوابهم ، واجزل أجرهم .

ومما يجب على المؤمنين ان يحذروا غاية الحذر من

المخذلين المرجفين ومن المفسدين بينهم في السعي في الفتن والتفريق بينهم ، فان هؤلا ء اضر عليهم من العدو المحارب ، قال تعالى في وصف امثال هؤلاء (لوخرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم) .

اي مستجيبون لهؤ لاء المفسدين لا يفهمون مغزى مرادهم فيغترون بهم ، فتحصل الفرقة بين المؤمنين . فعلى المؤمنين ان يتنبهوا لهؤلا المفسدين

وعلى المسلمين ايضاً ان لايجعلوا الاختلاف بينهم في الأقوال والمذاهب ، وفي الملك ، والسياسات ، والأاغرض الشخصية حائلا يحول بينهم وبين تحقيق الاخوة الدينية والرابطة الايمانية ، بل يجعلون الخلافات كلها والاغراض الجزئية تبعاً لهذا الأصل الكبير لأن مصلحة ذلك الكلية ،وما يطلبهم دينهم منهم من الوحدة والألفة وما يمنعهم منه من التفرق المفكك لوحدتهم وقوتهم يأتي على ذلك اجمع ، ويقدم على كل شيء .

فالمصالح الكلية تندرج فيها الأغراض الجزئية ، فمتى صار الغرض الوحيد المصالح العامه تبعتها المصالح الخاصة .

وقال تعالى (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم) الآية .

فهذه الاية : وما أشبهها من الآيات بينت ان امثال هؤلاء المرجفين ضررهم عظيم ، وشرهم مستطير ، وما اكثر وراثهم في هذه الأوقات التي اضطر المسلمون فيها الى نصرة الأوليا ء ، حيث يوجد طائفة من الناس يثبطون عن الجهاد في سبيله ، ومقاومة الأعداء ، ويخدرون اعصابهم ويؤيسون المسلمين ، ويوهمونهم أن كل عمل يعملونه لافائدة فيه ، فهؤلاء لاخير فيهم ، لا دين صحيح ، ولا مروءة ولا انسانية ، ولاحمية قومية وطنيه . ومع ذلك فهم صار وا أضر على المسلمين من الاعداء . فليعلم امثال هؤلاء ومن يستجيب لهم ان الله لم يكلف المؤمنين الا وسعهم وطاقتهم وان لهم في رسول الله أسوة حسنة . فقد كان صلى الله عليه وسلم له حالان في الجهاد والدعوة أمر في كل حال بما يليق بها ويناسبها . أمر لما كان في مكة والمسلمون قليل والقوة ضعيفه والأعداء كثيرون بالأقتصارعلى الدعوه الى الدين وبيان محاسنه وجذب الناس اليه وجهادهم بالدعوة . وأمر ان يكف يده عن القتال باليد لما فيه من الضرر وخلاف الحكمة ، كما هو ظاهر لكل احد ، وان يسالم الأعداء ويستدفع ضررهم بكل طريق ويتحمل كثيراً مما يعملون معه ومع الاسلام . فلما هاجر الى المدينة وقوي المسلمون وكثروا وعظمت وطأة الأعداء ومقاوماتهم العنيفة للاسلام

المسلمين ، أمر بجهاد اليد مع جهاد الدعوة . فللمسلين برسول الله أسوة حسنة من كانت المصلحة تقتضي مهادنتهم ومسالمتهم من الأعداء سالموه وهادنوه وتحملوا اضرارهم القليلة لدفع ماهو اعظم منها ، ومن تعينت المصلحة في قتالهم بالسلاح لعدوانهم وشرهم وضررهم الكبير قاوموه بالسلاح والقوة فيتبعون ماتعينت مصلحته الدينية ويستعينون على المضي في احد الأمرين بالمشاورة والمراودة .

. والمشاورة احد اصول السياسة الدينية بل هي اهم قواعدها كما قال تعالى (وامرهم شورى بينهم)(وشاورهم في الامر) .

وهذا من أهم مافرضه الله على المؤمنين في اصلاح وتدبير امورهم الكلية ، وله من الفوائد مالايحصى .

منها : امتثال امر الله والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كان يشاور اصحابه في كل أمر مهم .

ومنها : ان المشاورة من اكبر الأسباب لإصابة الصواب وسلوك الطرق النافعة لاجتماع آراء المؤمنين وأفكارهم وتنقيحها وتصفيتها مع ان الله معهم في هذه الحال يسددهم ويؤيدهم .

ومنها ان المشاورة تتنور فيها الأفكار وتترقى فيها العقول

خلقت له وهيئت ، واقتباس بعضهم من آراء بعض .
ومنها : انه قد يكون الصواب من مجموع رأيين او ثلاثة أو عدة آراء ولا سبيل الى ذلك الا بالمشاورة .
ومنها ان المشاورة من اسباب المحبة بين المؤمنين ، وتألف قلوبهم وشعور جميعهم ان مصلحتهم واحدة ، وتنبه الأذهان للفكر في ذلك ، فان من لا يشاور في الغالب انه لايعمل فكره في هذه الأمور فضلا عن أن يهتدي الي الصواب .
ففتح باب المشاورة بين المؤمنين في تعيين مصالحهم الكلية ودفع مضارهم ، وفي انسب الوسائل ، والطرق التي يسلكونها لتحصيل ذلك عون كبير على القوة والصلاح والفلاح والنجاح .
وقد اتفق العقلاء ان الطريق الوحيد للصلا ح الديني والدنيوي هو طريق الشورى .
فالمسلمون قد أرشدهم الله ان يسعوا الى مصالحهم وعلمهم كيفية الوصول اليها بإعمالهم لأفكارهم مجتمعين فاذا تعينت المصلحة في طريق سلكوه ، واذا ظهرت المضرة في امر من الأمور سعوا الى دفعها ومدافعتها ، واذا اشتبهت المصالح بما ينافيها من المضار وتعارضت قدموا راجحها على مرجوحها ، فلا يدعون مصلحة داخلية .

ولا خارجيه صغيرة ولا كبيرة الا تشاوروا فيها وقدموا ما تقتضيه المصلحة .

وقد اوجب الله على المسلمين أمرين عظيمين عليهما مدار الجهاد ... الاستعداد لعدوهم بما يستطيعون من قوة عقليه ومعنوية وماديه .

ويدخل في ذلك تعلم الفنون الحربيه من الرمي والركوب وعمل السلاح المناسب للوقت والمكان ، وبما لا تتم هذه الأمور الا به من تعلم الصناعات المعينة علي هذا الأمر .

وامرهم بأخذ الحذر من عدوهم وهو التحرز والتحصن منهم وأن يكونوا منهم ابداً على حذر في وقت السلم فضلا عن وقت الحرب ، وان تكون لنا العيون والأرصاد عليهم لنعلم كل حركاتهم العلميه والحربية حتى لا يسبقونا الى الأعمال والصنائع النافعة ، فان ضعف المسلمين وقصورهم وجهلهم بالصنائع وعمل الأسلحة من فرص الأعدا ء. فلنأخذ عليهم هذا الطريق الذي منه يدخلون علينا . لعل الله أن يكف بأس الذين كفروا . ولا نكون عالة فيها وفي غيرها عليهم ، فانهم بذلك يتمكنون مما يريدون . فان لله في هذه الدنيا سننا لا تتغير ، وان الحياة العزيزة لا تكون لمن أذل نفسه وخذلها وتسول غيره .

ولئن قال متحذلق مخذل ان امة المسلمين الآن متعذر

عليهم ان يسلكوا هذا الطريق فذاك من جهله وجبنه وخور
فالله تعالى حكيم ، وامرنا بسلوك طرق الحكمة وليست
الأمور العظيمة يقفز اليها قفزاً .وقد علمنا تعالى ان نبد
بما نقدر عليه . ولا نترك المقدور لعجزنا عن الكمال . فمتى
ادينا ما علينا وقمنا بما فرض علينا وما نستطيعه ، كن
مجاهدين ومحمودين وعزيزين ، فان من يسعى لعزه ولغاي
مجده فطريقه وان كان ضعيفاً فهو طريق المجد وطريق الحز
وطريق القوة والشجاعة . فرحم الله من اعان على الاسلا
ولو بشطر كلمة .وقد أمر الله بالجهاد بالنفس ، والمال
وبالأقوال والأفعال وبالمباشرة ، واعانة المباشرين بالمال
والدعوة ، والتشجيع ، والتحريض فكل من لم يغز ول
يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق كما صح
الحديث بذلك .

فأهل الحل والعقد والرياسة من الملوك ، والامراء ، والوزرا
، ورجال الدول الاسلامية عليهم أ ن يسعوا أحث السعي
لتحصيل القوتين ، القوة المعنوية ، والقوة المادية ، بازال
جميع الحواجز ، والموانع التي حالت بين المسلمين وبين
اتفاقهم واجتماع كلمتهم ، وتألف قلوبهم ، وان يفهمو
الاسباب التي فرقتهم من الأغراض الشخصية والمطام
والاغراض الرديه ، والايدي الاجنبية ، فانهم متى فهموها حق
الفهم عرفوا أنها تنافي مصالحهم الدينية والدنيوية .

ومنافعهم الكلية وتنافي مايحث عليه العقل والحزم من
وجوب تقديم المصالح العامة على الاغراض الخاصة .

وقد قال تعالى (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجها د في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) .

فتوعد الله من كانت هذه الأمور أحب اليه من الله ورسوله ومنعته من الجهاد في سبيله وقدمها عليه .

وهذه المذكورات في هذه الاية الكريمة هي الموانع والحواجز عن القيام بالجها د في سبيله قولا وفعلا . ومن اكبر اسباب الجبن ، فلا يتحقق الايمان الا بتقديم حب الله ورسوله والجهاد في سبيله عليها فان الله قد وعد على الجها د في سبيله مغفرة الذنوب والسيئات ، وحصول الخيرات ودخول الجنات والفتح في الدنيا والعز والنصر القريب .

قال تعالى (يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم) الى قوله (وبشر المؤمنين) .

فأخبر تعالى ان من قام بالايمان والجهاد فقد حصل التجارة الرابحة وادرك الصفقة والغنيمة والخيرات المتتابعه .

تالله لقد حرم الناكلون عن الجهاد خيراً كثيرا ، ولقد سعوا

فيما يكسب الذل وخسروا خسرانا كبيراً ، فأين الشهامة الدينية ، وأين الغارية الايمانية ، وأين الرغبة في الخير .
ياعجباً لمؤمن يرى أهل الباطل يجهدون ويألمون في نصر باطلهم ، وهم لاغاية لهم شريفة يطلبونها ، وهو مخلد إلى الكسل عن نصر الحق الذي يترتب على نصره من الخيرات العاجلة والآجله مالايمكن التعبير عنه ، كل ذلك خوفاً من المشقة وزهدا في اعانة اخوانه المسلمين في ماله أو بدونه وقوله وفعله ، بل زهد في مصالح نفسه الحقيقية .
قال تعالى (إن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون) .
وعلى أهل العلم من بيان فضل الجهاد ووجوهه وتبيين منافعه ومصالحه الضروريه ، وحض الناس على ذلك اعظم مما على غيرهم .
وعليهم ان يوضحوا للمسلمين ان جميع حركاتهم وسكناتهم ، وأقوالهم ، وافعالهم ، ونفقاتهم المقوية للدين ودفع ضرر الاعداء كلها داخلة في هذا الواجب العظيم . وان يفهموهم ان الاختلاف في المذاهب والتباين في المشارب لا يمنع من اتفاقهم جميعا على هذا الاصل الذي يجمع قاصيهم لدانيهم وان المصالح العامه الكلية مقدمة على الاغراض الجزئيه والمنافع الشخصية .وان هذا العمل مصلح لدين المسلمين ودنياهم

ثم على كل فرد أن يبدي مجهوده في نصر الدين وتقوية المسلين بما استطاع من نفقة أو قول أن ينهض المسلمين ويقوي عزائمهم ويبعث هممهم .

وعلى الرؤساء ، والمرؤسين الترغيب في تعلم الفنون الحربيه والصناعا ت النافعة ، وعمل الاسلحة والحصون الواقية واستجلاب ما تعذرت صناعته ، والسعي في تنمية المصالح والمنافع الاقتصادية بالعمل بالاسباب الميسرة لها ، المعينة على تحصيلها ، فان المصالح الاقتصادية هي العون على المصالح الدينية ، فكل مافيه تقوية المسلمين ودفع الأضرار والشرور من الاعداء عنهم فهو من الجهاد .

وعليهم ان يدرسوا احوال الامم الأجنبية وسياساتهم ، فان معرفة ذلك من اسباب اخذ الحذر منهم والتوقي لشرهم .

وعليهم مع فعل الاسباب النافعة ان يتوكلوا على الله ويستعينوا به ولا يتكلوا على حولهم وقوتهم ، ولا يغتروا بحالهم ويعجبوا بأنفسهم ولا يستهينوا باعدائهم بل يحسبون لهم كل حساب .

ومن اعضم الجهاد الجهاد المالي . والله تعالى قدم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس . فان النفقة في سبيل الله فضل النفقات علي الاطلاق وبها يستعان على قتال الاعداء بتحصيل الاسلحة وصناعتها . والمراكب المناسبة لزمانهم .

وأقامة جميع مؤن الجهاد .حتى ان دفع المال الذي يدفع للاعداء لوقاية شرهم من الجهاد بالمال . فبذل المال للاجانب عند الاضطرار مقدم على ماهو أخطر منه واشد ضرراً .

وقد أمرهم الله أن يتعاونوا على البر والتقوى .

فالبر اسم جامع لفعل الخير كله ووسائله وطرقه .

كما ان التقوى اسم جامع للتعاون علي اتقاء ما يخشى ضرره في الدين والدنيا والآخرة . أي تعاونوا على فعل الخيرات وعلى ترك المنكرات . وتعاونوا على كل وسيلة تعين على ذلك . فالعالم بوعظه وتذكيره وتعليمه . والغني بماله . وذي السداد برأيه وعقله وتدبيره وسياسته . وأهل النجدة والشهامة بقوتهم وتحضيضهم لغيرهم والعامل بعمله وصناعته ، وكل فرد يعين بنفسه ورعايته وتشجيعه وصاحب الجاه بجاهه . فيكون المؤمنون كالجسد الواحد ، والبنيان الذي يشد بعضه بعضا قال تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) .

وهذا يشمل جميع الأوامر الدينية فليس لأحد عذر في القيام بالمستطاع منها .

وقال تعالى (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج) .

نه لما أمر بالجهاد اخبر بالطريق التى تسهله ، والدواعي
تي تدعو اليه ، فكون الله اختار المؤمنين واجتباهم
ختارلهم هذا الدين العظيم الذي هو دينه الذي يوصل اليه
لى كل كرامة ، وهذا من اكبر الدواعي الى الجهاد حيث
ان هذا العمل الجليل يوصل الى كل خير ويدفع كل شر ،
مع ذلك فما جعل عليكم في الدين من حرج ، فلم تكلفوا من
جهاد الا ماتستطيعون ويهون عليكم كل على قدر حاله
مقدرته .

قد امر هم الله بالقيام بالقسط والوفاء بالعهود قال تعالى :
يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله) ..
وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا) .
هذان الاصلان العظيمان وهما :
القيام بالقسط الذي هو العدل التام على الانفس
لاقربين والابعدين .
والوفاء بالعهود كلهامن اكبر اصول الدين ومصالحه
بالقيام بهما يتم الدين وتحصل الهداية والاعانة من الله
لنصر والمدافعة ، فما ارتفع احد الا بالعدل ، والوفاء ،
لاسقط احد الابالظلم والجور والغدر .

وهذه الأموركلها مضطره إلى قوة التوكل على الله والاقتدا
بسيد المرسلين فيه ، فهو سيد المتوكلين ، ومع ذلك فقد كا
يعمل بجميع الاسباب النافعة ويحض عليها . فالتوكل ه
الثقة بالله والاعتماد على قوته وحوله في تيسير الامو
التي يباشرها العبد والالتجاء الي الله في حصولها
وطمأنينة القلب فيكون المتوكل يعمل بجد واجتها
مطمئنا بالله واثقاً به لايخاف سواه ، ولا يرجو غيره لا يملك
اليأس ، ولا يساوره القنوط غير هياب ولا وجل ولا مترد
لانه يعلم ان الأمور بيد الله ، وان نواصي العباد وأزمـ
أمورهم تحت تدبيره ومشيئته فانه القوي العزيز.

بهذا التوكل نال المسلمون الأولون العز والشرف والسلطا
وصلاح الاحوال ولم يكن زادهم في مضيهم في سبيلهم ا
قوة التوكل على الله .

فهذه حال المسلمين ، لا الخور والمهانه والتواكل والتخاذ
والاخلاد الى البطالة فانه ينافي التوكل كل المنافاة كحا
كثير من الناس في هذه الاوقات يرون عدوهم يحاربهم وه
ساكتون لايدفعونه بوسيلة من الوسائل ، ولا يقاومون
فتكون النتيجة ضياع استقلالهم وذهاب ملكهم وأموالهـ
وحلول المصائب المتنوعة عليهم من كل جانب ، ويزعمون انه
متوكلون كلا والله

من اعظم وسائــل الجهــاد في هــذه الاوقــات
لقد المعاهــدات بين الحكــومات الاســلامية
حتوية على كمال الصــداقة وعدم الاعتــداء
احتفاظ كل حكومة بشخصيتها الدوليــة وادارتها
خلا وخارجا والتكافل بينها والتــضامن ، وان يكونوا
دا واحدة على من تعدي عليهم ، او على حقــوقهم
تسهيل الامور الاقتصادية فيمــا بينها طلبا لمصلحة
كل وتقريبا لقــلوبهم ، وان يعملوا لهذه الاسس
الاصول اعمــالها اللائقــة بها والمناسبة لها ،
يسعوا أحث السعي لتحقيه وازالة العقبــات
حائلة دونه . وهــذه وان كانــت فــي بادي الــرأي
صعبة فانها يسيرة بتيسير الله والتوكل عليه .

واليــوم وان كــان المسلمون مصــابين بضعــف
شديد والاعــداء يتربصون بهم الدوائــر - هذه
حالة أوجــدت من بينهم اناسا ضعيفي الايمــان
ضعيفي الرأي والقوة يتشــأمون ان الامــل في
رفعــة الاســلام قد ضــاع ، او ان المسلمــين الى
ها ب واضمــحلال ، ولقد غلطوا فــي هــذا أعظم غلط
ـان هذا الضعف عارض له اسباب ، وبالسعي في زوال
سبابه تعود صحة الاسلام كما كانت ، كما تعود اليه قوته

التي فقدها منذ اجيال .ماضعف المسلمون الا لانهم خال
كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم وتنكبوا الس
الكونية التي جعلها الله مادة حياة الامم ورقيها .

فاذا رجعوا الي مامهده لهم دينهم فانهم لابد ان يصل
الي الغاية كلها اوبعضها .

وهذا المذهب المهين ، وهو التشاؤم والكسل لايعرف
الاسلام ولا يرتضيه بل يحذر عنه اشد تحذير ويبين للنا
ان النجاح مأمول وان مع العسريسرا ، وانه سيج
الله بعد عسر يسرا ، ويبين انه لاأضر عليهم من اليأ
والقنوط

فليتق هؤلاء المتشائمون ربهم وليعلموا ان المسلم
اقرب الأمم الى النجاح الحقيقي :

ويقابل هؤلاء طائفة يؤملون آمالا عظيم
ويقولون ولا يفعلون فتراهم يتحدثون بمجد الاس
ورفعته ، وان له العاقبة الحميدة وان الرجوع ال
تعاليمه وهدايته هو السبب الوحيد لعلو اهله ورفعته
ولكن لا يقدمون لدينهم أدنى منفعة بدنية ولا مالية و
يقدمون مساعدة جدية لتحقيق ما يقولون ، فان الاقوال
لاتقوم الا اذا قارنتها الافعال .

وياطوبى لطائفة هم غرة المسلين وهم رجال الدنيا والد
قرنوا بين الاقوال والافعال ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسه

بأقـــوالهم وبأنهـــاض اخـوانهم . وتبـروًا من مـذهـب المتشائمين ومـن أهل الاقـوال دون الافـعـال ، فـهـؤلاء هم الذين يناط بـهم الامل وتدرك المطالب العاليـة بمساعـيـهم المشكورة ، واعـمـالـــهم المبـرورة .ومـن أعـضـم أصـول الجـهـاد التربيـــة ، الاعـتـنـاء والاهـتـمـام التـام بشبان الامـة فـانـهم محل رجائــهـا ومـوضــع املــهـا ومـادة قـوتـهـا وعــزتـهـا وبـصـلاح تربيتـهـم تصـلـح الاحـوال كلهـا ، فـعليـهـم ان يـعـتـنـوا بـتـربـيـتـهـم التربيـة الـعـاليـة ، وان يـبـثـوا فـيـهـم روح الـديـن واخـلاقـه الجميلة والحزم والعزم وجميـع مبادي ء الرجولة وتدريبهـم على المصاعب والمشاق والصبر علي الامور النافــعة والثبات عليها ، وتحذيرهم من الجـــبن والخور والسير وراء المادة والطمع ، والانطلاق في المجون والهــــزل والدعـة ، فـان ذلــك مدعاة للتأخير العظيم -. وشبـاب الحاضر هـم رجال المستـقـبل ، وبـهم تعـقـد الآمــــال ، وتدرك الامـور المهـمـة فاجتـهـدوا ان يكونوا في خصـــال الخيـر والفضـائل المثل الاعلى ، وبأوصاف الحزم والمروءة والكمال القدوة المثلى .

ومن اهم امـور الجـهـاد وخـصـوصـاً في هذه الاوقـات التـعـاون بين المسلين فـي جـمـيـع شـئـونـهم الديـنيـة ، والسياسيـة ، والاقتصادية ، واتصـال بعضـهم ببعــض في تحقيـــق ذلك لأن عددهم كثير ، وأعـــداؤهـــم جادون في

الحيلـــــولة بينهم في هــذه الأمـور ، وقـد تفننوا في تفريقهم واقاموا الحواجز والسدود في اتصال بعضهم ببعض حتى اوهنوا قـواهم وساءت حالهم وهم مجدون في هذا الامر . فمن اكبر الجهاد السعي في الاسباب التي بها يتعارف المسلمون ويتفاهمون حتى يعرفوا كيف يتعاونون على الحصول على حقوقهم ودفع المعتدين عنهم بكل وسيلة ولا ينبغي اذا رأوء انهم لا يدركون كلما يريدون ان يضعفوا عن بعض ما ينفعهم ويحصل به الدفاع ، فمن جد واجتهد واستعان بالله فلا بد له من النجاح .

ومن اهم الجهاد السعي في اصلاح التعليم . وان تكون المدارس يعلم فيها الأهم فا لأهم من العلوم النافعة للدنيا والدين ، وان يكون الدين هو الاصل الاعظم فيها والاساس الاقوم ، وان يكون غيره وسيلة وتبعا له ، وان يكون الغرض الوحيد من الناجحين فيها المتحرجين ان يكونوا صالحين في انفسهم مصلحين لغيرهم ، متربين بالاخلاق النافعة مهتمين بتربية الامة ، فان أكثر المدارس الآن انما هي بالعكس من هذا الامر الفنون الدنيوية هي الاصل ، وعلوم الدين يجعل لها جزء ضعيف من التعليم ، ولا يعتنى باخلاق التلاميذ وادابهم . وانما الغرض منها المادة ، وان يخرج منها تلاميذ يصلحون للوظائف الدنيوية المادية البحتة وهذا اكبر نقص

اكبر الدواعي للضعف والانحلال .

لا شك أن السعي في اصلاح التعليم من أهم الامور ، وبه
رتفع الأمة الاسلامية وتنتفع بعلمائها وعلومهم ، فا لتعاليم
نافعة والتربية الصالحة تقود المسلمين الى كل خير وفلاح
رتكون العلوم مقصودا بها حصول المنافع والصلاح
لاصلاح .

ومن أهم امور الجهاد بل هو أصله وقاعدته ، أنه كما
زم الاستعداد بالحصون المنيعة والسلاح القوي
لجيوش العاملة والأهب الوافرة ، فينبغي ان تولى
لاكفاء من ذوي الرأي والحكمة والخبرة والتدبير
لحزم والحذق . وان يكونوا اهل دين وأصل راسخ
ـومون على شئون المملكة يوطئون بساط الأمن
رطرق الراحة ، ويرفعون بناء الملك على طريق
عدل ، ويوقفون الرعية على حدود الشريعة ،
يراقبون مع ذلك روابط المملكة مع سائر الممالك الاجنبيه
يحفظوا لها المنزلة التي تليق بها بالمعاهدات السلمية
الاقتصادية وغيرها .

ومن اكبر الخيانات تولية غير أهل الحمية الناصحين او
ير الاكفاء الخبيرين قال تعالى (ان الله يأمركم ان تؤدوا
لأمانات الي أهلها) .

واعظم الأمانات أمانت الولايا ت كلها صغيرها وكبيرها .
والحذر من تولية الاجانب فـانهم اذا اتمنـوا خانوا و
عزوا أهانوا ، يقابلـون الاحسان بضده ويتحين
الفرص ويكـونـون اعوانا ً لأبـنا ءقومهم عند أ
حادث (قد بدت البغضاء من أفـواههم وما تخفي صدور
اكبر) وأهم صفات قواد المسلمين الاقتداء بنبيهم صلى ا
عليه وسلم والاهتداء بسنته وهديه في الجد الكامل لتقو
الاسلام والمسلمين .
وتكوين الامـه وتربية اخلاقهم ، وان يكـون على جانـ
من العلم بكتـاب الله وسنـة رسولـه صلى الله علي
وسلم ، ومعرفة بتاريخ الاسلام ورجاله ، ومعرف
الاسباب المضعفه للأمة والسعي في ازالتها وتحقيقها حس
الامكان والسعي في طرق الاصلاح كلها . وان يكون
قـوة وأمل ورجـاء واسع لا يملكه اليـأس ولا يتـطر
الفتـور وان يتصل بأفراد المسلمين وجميع طبقاتهم اتص
وثيقا ، ويتعرف شؤنهم ويسأل عن أحوالهم ، ويأخ
بآرائهـم الصائبة ، وان يحـب لهم مايحب لنفسـ
ويـكره لهـم مايكره لنفسه ، وان يكـون ذا فكر ثاقب
وسياسة تامـة ، وأنتهاز للفـرص النافعه وأن لايز
نصب عينيه نفع المسلمـين واصلاح دينهم ودنياهم ود
الشـر .

عنهم بكل طريق ، وأن يكون خالياً من الطمع والجشع موصوفا بالكرم والجود في محله في اعلاء كلمة الحق ورفعة الاسلام ، وان يكون حسن العلاقات مع جميع العاملين من المسلمين في انحاء العالم يبدي لهم وده ، ويستشيرهم ويأخذ بالناضج من آرائهم . وان يكون بصيراً بسياسات الاجانب عارفا لحقوقهم آخذ الحذر من مكرهم وخداعهم ، يعاملهم لمصلحة المسلمين . ويأخذ حذره منهم خوف الضرر .

وان يكون في ذلك كله مخلصا لله مستعيناً به متوكلا عليه

ومن أعضم وأجل الجهاد في سبيل الله الدعوة الى الدين والاسلام بشرح محاسنه واظهار جماله ، في عقائده ، واخلاقه ، وآدابه ، وتعاليمه العالية الراقية ، فان في ذلك قوة معنويه للمسلمين ، فانهم كلما فهموا دينهم وعرفوا ما يحتوي عليه من المحاسن التي تفوق الحد والاحصاء ازداد

ايمانهم وقوي يقينهم واندفعت عنهم شبه الملحدين وعظم تمسكهم التام به ، وعلموا أن السعادة والفوز منوط بأرشاداته وهدايته ، وكان ذلك أيضا جهاداً للاعداء من جهتين .

احدهما : أن المنصف منهم أو من لم يملكه التعصب الشديد اذا أبصر حقائق الدين وهدايته ، التي فاقت كل

هداية ، وصلاحه واصلاحه للبشر كان من اكبر الدواعي لدخوله به اذا لم يحصل له موانع قوية .

الثاني : أن في ذلك اقامة الحجة على المعاندين من الأجانب وعلى الملحدين الذين قلدوهم وخضعوا لهم وفي ذلك من كف شرهم كله أوبعضه من المصالح مالا يعد ولا يحصى .

فاكبر الجهاد الجهاد بالدين وهو أعظم سلاح للمسليمن ، واكبر جيش ، اليه يلجأ ون وبه يعتصمون ، تبين أصوله الكلية ومصالحه العامة ، وانه يدعوا الى كل خير وصلاح وسعادة في المعاش والمعاد وفي الظاهر والباطن ، ويحث على إقامة العدل والقسط بكل طريق ، ينهى عن كل شر وضرر وفساد ، ويدعو الى المقاصد النافعة ، والى جميع وسائلها ، وان جميع اصوله وفروعه في غاية الاحكام والحسن (ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون) ومن تتبع اصول الدين وفروعه وآدابه واخلاقه وتعاليمه وارشاداته العالية وجدها تدعوا الى كل خير وصلا ح وفلاح وعرف انه لايمكن الصلاح والاصلاح البشري الابالدين ، وصلى الله على محمد وسلم .

xxxxxxxxxxxxxx

قال ذلك وكتبه عبد الرحمن بن ناصر سعدي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين .

الفهرس

تم الفهرس